« وعواء أبناء آوى يرتفع من جنبات المنزل الموحش فى ضوء القمر الشاحب »

« وإذا تلبث مسافر هنا قليلاً ليرقب الليل ، وأطرق حيناً ليسمع همهمة الظلماء ؛ فمن ذا الذى يسكب فى مسمعيه أسرار الحياة إن أنا أوصدت دونه بابى لأتحلل من قيود الانسانية ؟ »

« إنها خرافة : أن يدب الشيب فى شعراتي »

« إننى دائماً شاب كأصغر شباب القرية ، وشيخ كأكبر كهولها »

« بعض الناس ترتسم على شفاههم ابتسامة عذبة رقيقة ، والبعض يشع من نظراتهم الخبث »

« بعض تنهمر عبراتهم فى وضح النهار ، والبعض يكفكفون دموعهم فى هدأة الليل »

« كل أولئك فى حاجة شديدة إلىّ ، فأنا لا أجد فى عمرى مُنفسحاً لأفكر فى الحياة الآخرة »

« إننى أعيش مع كل أولئك ، فماذا يضيرنى إن دبّ الشيب فى شعراتي »

— ٣ —

عند الصباح طرحت شبكتى فى البحر

ثم جذبتها من الهوة السحيقة فألفيت فيها أشياء ذات بهجة وجمال : بعض يشع كالابتسامة ، وبعض يلمع كالعبرة ، وبعض يتألق كأنه خد عروس

وعند الأصيل عُدتُ إلى دارى أحمل ثقل يومى ؛ وعلى جانب الطريق رأيت التى أحب جالسة في الحديقة لا تجد عملاً فهى تعبث بأوراق زهرة

فاندفعت إليها وألقيت ثقلى عند قدميها ثم وقفت بإزائها صامتاً

ونظرت هى إلى أشيائى ثم قالت : « ما أعجب ما أرى ! ماذا يفيد كل هذا ؟ »

فأطرقت ملياً والخجل يعركنى عركا ، ثم طاف بخاطرى « أنى لم أجهد نفسى فى سبيل هـذا ، ولم أدفع له ثمناً ؛ إن كل ذلك لا يستأهل أن يكون هديتى إليها »

فقذفت بها جميعاً — واحدة فواحدة — إلى الطريق

وحين أسفر الصبح جاء السائحون أرسالا ، فالتقطوا كل ما قذفت به وحملوه إلى بلاد نائية

فاضل محمود حبيب

نقل الأديب

للأستاذ محمد اسعاف النشاشيبي

٣٥٣ — على هذا بنيت الدنيا

أنشد عمر (رضى الله عنه) قول عَبْدة بن الطيب

والمرء ساع لأمر ليس يدركه

والعيش : شح وإشفاق ، وتأميل [1]

فقال : ما أحسن ما قسّم ! على هذا بنيت الدنيا

٣٥٤ — بلى ، انه للعينين فى الصبح رائعة

فى (الموشح) للمرزبانى : الشعراء على أن الهموم متزايدة بالليل — متفقون ، ولم يشذ عن هـذا المعنى ويخالفه منهم إلا أحذقهم بالشعر . والمبتدىء بالاحسان فيه امرؤ القيس [2] فانه بحذقه وحسن طبعه وجودة قريحته كره أن يقول : ان الهم فى حبه يخف عنه فى نهاره ويزيد فى ليله ، فجعل الليل والنهار سواء عليه فى قلقه وهمه وجزعه وغمه فقال :

ألا أيها الليل الطويل ، ألا انجلى بصبح وما الاصباح منك بأمثل

فأحسن فى هـذا المعنى الذى ذهب إليه وإن كانت العادة غيره ، والصورة لا توجبه . ثم صبّ الله على امرئ القيس بعده شاعراً أراه استحالة معناه فى المعقول ، وأن القياس لا يوجبه ، والعادة غير جارية به ، حتى لو كان الرادّ عليه من حذاق المتكلمين ما بلغ فى كثير نثره ما أتى به فى قليل نظمه ، وهو الطرماح بن حكيم فانه ابتدأ قصيدة فقال :

ألا أيها الليل الطويل ألا اصبح بِبَمّ وما الاصباح فيك بأروح [3]

فأتى بلفظ امرىء القيس ومعناه ثم عطف محتجاً مستدركا فقال :

---

(١) فى (مفضلية) طويلة جيدة ، مطلعها :

هل حبل خولة بعد الهجر موصول أم أنت عنها بعيد الدار مشغول

(٢) امرؤ يعرب من مكانين (الهمزة والراء) ومن العرب من يعربه من الهمزة وحده ويدع الراء مفتوحة (التاج)

(٣) بم : (بالفتح وتشديد الميم) مدينة جليلة من أعيان مدن كرمان (معجم البلدان) وفى (اللسان) : للطرماح : أليلتنا فى بم كرمان أصبحي

بلى ، إن للعينين فى الصبح راحة
لطرحهما طَـرْفَيهما كلَّ مطرح

فأحسن فى قوله وأجمل ، وأتى بحق لا يدفع ، وبين عن الفرق بين ليله ونهاره

٣٥٥ — أحسن منها على حيطانها جيرانها

فى (كتاب الصناعتين) : قيل لبعضهم ما بلغ من حبك لفلانة ؟

فقال : إنى أرى الشمس على حيطانها أحسن منها على حيطان جيرانها

٣٥٦ — أبو رياح

فى (ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب) للثعالبى : أبو رياح تمثال فارس من نحاس بمدينة حمص على عمود حديد فوق قبة كبيرة بباب الجامع — يدور مع الريح حيث هبت ، وعينه ممدودة ، وأصابعها مضمومة إلا السبابة ، فإذا أشكل على أهل حمص مهب الريح عرفوا ذلك به ، فإنه يدور بأضعف نسيم يصيبه ولذلك كنى بأبى رياح . وقد يقال للرجل الطائش الذي لا ثبات له : (أبو رياح) تشبيهاً به ، وقيل :

أنَّ لقاض لنا وقاح أمسى بريئاً من الصلاح
كأنَّ دنيته عليه غراب نوح بلا جناح[1]
وليس فى الرأس منه شئ يدور إلا أبو رياح ...

٣٥٧ — فليس لخوفه يبدين حرفا

قال جحظة : كنت مع ابن الرومى فرأينا (أبا رياح) على دار ابن طاهر . فقلت له : صف هذه الشرفات وأبا رياح ، فقال :

ترى شرفاتها مثل العذارى خرجن لنزهة فقمدن صفا
عليهن الرقيب أبو رياح فليس لخوفه يبدين حرفا

٣٥٨ — هرمته حاده ومرعاه

فى (السلوك) للمقريزى : فى سنة (٦٦٤) اشتد إنكار السلطان للمنكر ، وأراق الخمور ، وعنّى آثار المنكرات ، ومنع الخانات والخواطئ بجميع أقطار مملكته بمصر والشام . قال ابن المنير قاضى الأسكندرية لما وردت إليه المراسيم بالأسكندرية وعنى متوليها أثر المحرمات :

ليس لإبليس عندنا أربٌ غيرُ بلاد الأمير مأواه
حرمتَه الخمر والحشيش معاً حرمتَه مأواه ومرعاه

وقال أبو الحسن الجزار :

قد عُطل الكوب من حبابه وأخلى الثغر من رضابه
وأصبح الشيخ وهو يبكى على الذى فات من شبابه

٣٥٩ — وعنى أمش فى ضوء رضاك

فى (أمالى) القالى : قال جحظة : دخل رجل على عمر بن فرج فتنصل إليه من ذنب له فرضى عنه ، فلما خرج قال : ياغلام ، خذ الشمعة بين يديه

فقال : دعنى أمش فى ضوء رضاك[1] . فاستحسن ذلك وأمر له بصلة حسنة

٣٦٠ — فيأخذها غيرهم فيزنه فيها

فى (إرشاد الأريب) : جرى مع أسعد بن المهذب[2] حديث النحويين وأن أحدهم يتفد عمره فيه ولا يتجاوزه إلى شئ من الأدب الذى يراد النحو لأجله من البلاغة وقول الشعر ومعرفة الأخبار والآثار وتصحيح اللغة وضبط الأحاديث . فقال الأسعد هؤلاء مثلهم مثل الذى يعمل الموازين وليس عنده مايزن فيه ، فيأخذها غيرهم فيزن فيها الدر النفيس والجوهر الفاخر والدنانير الحمر[3]

قال ياقوت : وهذا عندى من حسن التمثيل

---

(١) الدنية : قلنسوة محددة الطرف يلبسها القضاة والأكابر ، وليست من كلام العرب إنما هى من الألفاظ المستعملة فى العراق (الشريشى) دنية القاضى قلنسوته شبهت بالدن (القاموس) الدن : الرقود العظيم ، الراقود : إناء خزف مستطيل مقير

(١) فى شرح النهج لابن أبى الحديد : رضى بعض الرؤساء عن رجل من موجدة ثم أقبل يوبخه عليها فقال : إن رأيت ألا تخدش وجه رضاك بالتوبيخ فافعل

(٢) نظم سيرة صلاح الدين ، وكتاب كليلة ودمنة ، وله ديوان شعر ، وفاته سنة ٦٠٦ (الوفيات)

(٣) الذهب أحمر وأصفر قالوا : الأحمران والأصفران : الذهب والزعفران